Al Akhlaq, vol. 2, no. 7 (July 1921) pp. 10-12

Raphael, Yusuf
"Religion and Love"

الدين والحب

بقلم يوسف روفايل

طالعت في العدد الرابع من « الاخلاق » مقالة تحت عنوان — الدين والزواج — للكاتبة المهذبة الانسة فكتوريا طنوس

المقالة ضافية الذيول جزيلة الفائدة جديرة بالاهتمام . لان الموضوع الذي عالجته حضرتها من المواضيع الحيوية الخطيرة التي يجب الاكثار من البحث فيها وخصوصا بعد ان ساد التعصب الديني ما بيننا واخذنا نشعر بثقل وطاته على هيئاتنا الاجتماعية .

لقد وفت حضرة الكاتبة المقال حقه من الوجهة الاجتماعية فلم تترك لغيرها مجالا للبحث فيه . ولكنها لم تلمسه من وجهته الدينية الا لمسا خفيفا كانها خافت ان تقوم عليها قيامة البعض من زعماء الاديان فيرمونها بالكفر والضلال وعلى كل حال فهي تستحق الثناء الطيب على جراتها الادبية وخوضها معارك هذه الابحاث الاجتماعية وصراحتها الظاهرة من خلال سطور كتاباتها المفيدة .

قبل ان اقدم على لمس هذا الموضوع الخطير اقص على قراء «الاخلاق» قصة واقعية تاركا حل المسالة الى ذرائعهم الصائبة وافكارهم الثاقبة .

تعرفت بصديق كان يشغل احدى الوظائف الهامة في ادارة السكة الحجازية جاء مدينة بيروت استشفاء من مرض اصابه فكنت ازوره من وقت الى اخر فاراه كئيبا حزينا فاقول في نفسي . لا شك ان به مرضا اشد وطاة عليه من مرضه الحقيقي . ولكنني لم اشاء ان استفسره الخبر او ان اسأل عن السر .

زرته يوما وقد اشتد عليه وطاة الداء فاشار الي ان اقفل الباب ففعلت . ثم قال : لقد وثقت بك يا صديقي وارتاح قلبي اليك ولهذا لا اريد ان اكتمك بعد من امري فوق ما كتمته عنك . فقلت له : هات ما عندك فعساي استطيع ان افرج كربك . يلوح لي ان الغرام قد اصاب فؤادك فهل انا مخطئ ام مصيب ؟

فانتوى في سريره وكان قوة غير اعتيادية عادت اليه فابرقت اسارير وجهه وانطلق لسانه فقال : وهل لاحظت ذلك علي ؟ . فقلت الحب لا يخفى وان اخفيته . فتنهد وقال . ليس الحب وحده علة شقائي بل الدين ايضا واليك قصتي : اني مسلم من بلاد الكردستان اتيت البلاد السورية قبل ان حلت بها ايام البؤس وانعم الله علي بتوفيق ما كنت احلم به فبعت املاكي في بلادي وتملكت في دمشق .

ففي سنة ١٩١٦ استفقت صباح يوم على صوت استغاثة فقامت والدتي وفتحت الباب وعادت الي فقالت . نحن في حاجة الى خادمة وها ان على الباب صبية دفعها الشقاء الى الاستعطاء اتريد ان ندخلها في خدمتنا ؟ قلت فلتكن ارادتك يا اماه .

دخلت مريم في خدمتنا فكانت مثال الامانة وكنت دائما اتحفظ حتى من النظر اليها ثاني مع كل النساء لاسيما خدم بيتنا . غير اني كنت دائما اتحرى ما يرضيها ويوافقها وحملتني بخلوص خدمتها على محبتها واحترامها .

احببتها لانها احبتني باخلاص وخدمتني بامانة وطابق ذوقها ذوقي ووافق ميلها ميلي . وكان هذا الحب ينمو ويزداد يوما فيوما حتى اصبح شغلي الشاغل . هيأت كلانا كثيرا وانشأت له اصولا وفروعا وعملت على اختيار والدتي فكان ذلك . وبعد الجهد الجهيد رضيت والدتي ان اتزوج مريم . ولكنها قيدتني بقولها : «اذا هي اعتنقت الدين الاسلامي»

ما خال قط بخاطري ان ابعد مريم عن دينها طالبا منها «الدين» يامرها بالامانة الزوجية وبفعل الخير والابتعاد عن الشر . ولم تكن من طبعي المجادلة بفلسفة الاديان فاحضرت مريم وقصصت عليها حديثي مع والدتي وقلت لها : اذا اشرت اهلك كان حرا بها ايضا « اذا هو اعتنق الدين المسيحي » يتزوج البشر بعضهم على جسد ودينا على دين ولكن الله وحده الذي يزوج القلوب فتعاهد على الوفاء واشهد علينا الله الحب بان لا يخون احدنا الاخر قلت هذا وناولتها صكا على نفسي بمبلغ خمسماية ليرة تكفل به مستقبلها اذا تركتها وشفعته بمبلغ اخر قيمته

ثلاثمائة ليرة كمهر لها وهكذا عشت معها مدة خمس سنوات كنت اخالني في جنة عدن وكنت اتوقع ان يمن الله علي بمولود يؤيد اتفاقنا ويثبته فخاب ظني .

علت ذات مساء الى البيت فوجدت مريم تبكي والكآبة تعلو محياها السام . فاثر بي دمعها وبكيت معها ثم عانقتها وقلت لها : لماذا تبكين يا مريم اترين ذاتك مغبونة بحبي او تريني مقصرا في اتمام واجباتي نحوك . فقالت لا يا خليل لست نادمة على حبي لك وسابقى على عهدي حتى يغيبني القبر . ثم ناولتني رسالة وردت عليها من اخت لها جاء فيها ان شقيقاتها اجتمعن بعد غربة طويلة وان اخاها مريض وحالته تنذر بالخطر الى غير ذلك من الاخبار المثيرة الاشجان . فقلت لها هل تريدين الرجوع الى عشيرتك يا مريم ؟ فاني احتمل مضض الفراق بالصبر . قالت معاذ الله ان افترق عنك . فقلت . اني حصلت على فرصة شهر كامل وازى بي رغبة فسافر واياك الى بيروت فتداوى وتشاهدين اهلك . فطوقتني بمعصميها ولهجت وجنتي بالقبلات وهي تقول : لا علمت محبتك يا عزيزي . وفي الغد سافرنا الى بيروت فكان وصولنا اليها قبل معرفتي بك بخمسة عشر يوما .

لدى وصولنا زرنا شقيقاتها فوجدناهن بصحة وعافية وقد رددن لنا الزيارة في اليوم الثاني بهذا النزل وبهذه الغرفة فسألتهن بكل بشاشة وعرضت عليهن مساعدة غير ان كلامهن معي كان باقتضاب وكبر . وفي اليوم الثالث زارنا احد الكهنة وبالطبع لم يكن لي سابق معرفة به وطلب الي ان يخلي بمريم فحفظا لحرية زوجتي خرجت من الغرفة دون ان يحاسرني اقل ريب بطهارة الاثنين . وبعد نصف ساعة خرج الكاهن من الغرفة وشكرني متلطفا ودخلت على مريم فوجدت علائم الارتياك بادية على وجهها فلما رأتني طوقت عنقي وقالت . مرادهم يفصلوني عنك وانت روحي . ولم اكن اخشى على محبة مريم ان تتزعزع قيد شعرة لشقيقاتها وداوم الكاهن تردده علينا .

منذ اسبوع خرجت مريم لزيارة شقيقاتها ولم تعد في المساء فبت بليلة المسلوع وعند الصباح اسرعت مغتما عنها فانكرن علي واقسمن بانهن لم يشاهدنها قط فزاد بلبالي ولم اذق طعاما كل ذلك النهار وفي المساء تناولت مذكرة جلب من ادارة البوليس فوجف قلبي وتوقعت حدوث مصيبة ذهبت مع الشرطي الى ادارة البوليس وهناك لاقيت من الاهانة ما لا يطاق . وبعد انتظار ساعتين في محل التوقيف طلبني مدير البوليس اليه وقال لي . انهم يدعون عليك بانك اغتصبت مريم الكفورية . فقلت . لا يا سيدي المدير لم اغتصبها بل احببتها لانها احبتني واحترمتها لاماناتها واخلاصها فتزوجتها ولست بطالق منها . . فحول المدير عرض الحال الى دائرة التحقيق واطلق سبيلي

وهنا تنهد صديقي وبكى وردد اسم مريم ثلاثا ثم عاد الى الحديث فقال . لقد هان يا صاح عذاب النفس في جنب ما الاقيه من الوجد وتجاه خوفي عليها . انهم لا شك خدعوها وهي في ضنك ولو كانت طليقة لاتت الي . اذا كان الدين وحده هو المانع من بقاء زوجتي معي فاني بطيبة خاطر اعتنق الدين المسيحي فكل دين ينهي عن الشر ويامر بالخير هو ديني . . . فما رايك ايها الصديق ؟ فحرت جوابا وبقيت برهة كالماخوذ تتنازعني الافكار ثم ودعته على رجاء ان ازوره في اليوم الثاني

* * *

الدين والحب هما صفتان من صفات الالوهية التي لا يدركها العقل البشري فهل يجوز للبشر اذن ان يفصلوا ما لا يدركون ؟ فالحب نور داخلي يخرق حجب التقليدات والدين عند الناس كلهم هو تصور الالوهية والاكتئاب من فعل الشر والفرح بعمل الخير

لقد اتفق علماء الطبيعة على وحدة النوع البشري رغم اختلاف الهيات . فيجب اذن ان يوحد الحب بتوحيد النوع وليس للدين صفة التفريق والتغيير التي هي من نتائج الشر حتى يغير وحدة النوع ويقف سدا منيعا في سبيل تحقيق التآمل

ان مبدا اتصال التآمل هو ان يعمل كي يكون البشر باجمعه مستعدا للتآمل الذي لولا الحب لتلاشى . والاديان على اختلافها من شرائعها المحافظة على هذا السد فكيف نجعل الدين مانعا بين شخصين متفقا على تاييد مبدا هو حياة الكون ؟

فالنوع واحد والنفس واحدة والدين واحد فيجب اذن ان يكون الحب واحدا ايضا

النوع واحد يستدل على ذلك وحدة تركيب المادة ودلائل النمو والانحلال

والنفس واحدة . يدل على وحدتها في النوع البشري اولا وحدة الحس وثانيا التروي والتمييز والتصور

والالم والحب والبغض الخ.. ولا يتكون علينا رجال الدين وزعماء وحدة النفس وعدم ميتوتتها

والدين واحد هو عند كل البشر. تصور الالوهية والاقرار بها واتمام ارادتها بعمل الخير والابتعاد عن الشر.

يتغير الدين بتغير العصور وتسطو عليه السياسة فيخدمها تارة وتخدمه اخرى. والحب ثابت منذ البدء والان والى الابد فهل للمتغير او المتكيف بحسب الظروف والازمنة ان يقف حاجزا تجاه اتمام المبدأ الثابت

الحب ثابت بثبوت النسل فكلما تدفقت دماء القلب في مجاريها تتولد كهرباء الحب وكما خفق قلب حواء عندما لامست شفتاها وجنتي ادم هكذا يخفق قلب كل فتاة في القبلة الاولى عندما تعطف وردة الشوق من وجنتي حبيبها. وتلك احنت معاطف ادم عندما عطف معانقا حواء للمرة الاولى هكذا تهتز معاطف كل شاب عطف معانقا حبيبته

ان القلب من حيث تركيب مادته هو واحد في كل البشر ولا فرق بين قلب المسيحية وقلب المسلمة اوالبوذية فهل للدين ان يغير تركيب مادة الانسان ويجعل فرقا في الاجسام ؟

هل خلق الله المسلم للمسلمة والمسيحي للمسيحية والدرزي للدرزية ؟

جاء في الكتاب المقدس ان الله خلقهما ذكرا وانثى وقال لهما انميا واكثرا واملاءا الارض ولم يقل لهما انميا طوائف وشعبا مذاهب . ولو كان ذلك لما خالف اباء الاسباط ارادة الله وتزوجوا نساء غريبات

تزوج يعقوب من بنات خاله لابان فسرقن اصنام والدهن واتين بها معهن وتزوج يوسف ابنة كاهن فرعون الوثنية فاذا كان الله يابى مثل هذا الزواج فلماذا بارك نسلهما ؟

يدين الانسان بدين اجداده او بالدين الذي يرشده اليه الحق ولكنه يهوى ويحب حسب وجيب قلبه وميله وذوقه يهوى الشخص الذي يرى فيه صورة نفسه

وعليه لا نرى لرجال الدين عذرا يسوغ لهم ان يحاربوا مبدأ الحب بين ابناء المذاهب لا سيما ونحن في عصر ابتدات فيه الشعوب ان تفهم معنى الحرية الذاتية واكثيرا ما يحمل ضغطهم المحب فيخلع نير سلطتهم ويترك دين اجداده ويعتنق محبوبته ازوجوه ام لا

هل عرفت قبل الان

ان الالة الكاتبة (تيبرايتر) اخترعت في البلاد الانكليزية سنة ١٧١٤ ثم زاد عليها وحسنها رجل افرنسي سنة ١٧٣٣ ولكن لم تبلغ ما هي عليه الان من التحسين الا بمساعي رجل اميركي سنة ١٨٧٤

ان جرثوم الفيل مؤلف من ٤٠٠٠٠٠ عظلة وانه يستطيع بواسطتها ان يقوم باثقل الاحمال كما انه يقدر ان يلتقط به القشة الصغيرة عن سطح الماء

ان طبيبا باريسا قدر ان يحول اثنى النساخ الى ذكر والعكس بالعكس . وانه يامل ان يجري هذا التحويل على الانسان ايضا؟

ان اطول نهر في امريكا الشمالية هو نهر مزوري وهو مصدر نهر المسي

كلمات عن المراة

لا تحكم على طبع المراة من ابتسامها

اذا اردت ان تعرف مكان الضعف في المراة فاصغ لها ولا تتكلم

المراة وريثة لكل امراض الرجل ما عدا السكوت

المراة التي لا تقدر على كتمان السر تجدها شريكة تشاطرها على كتمانه

تكتفي المراة ثوبها الجديد اذا عرفت انه لم يعجب غيرها اللدودة

* * *

بطرس — اصحيح ان الملائكة بيضاء اجنحة

بولس — نعم لانه لو كان لهن اجنحة لكن القتل بعضهن البيض ليصعن الريش على البرانيط